

الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات



السيد ياسين الموسوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات ؟

السيد ياسين الموسوي

مؤسسة ولي العصر (عج) الثقافية

كانت قصة هذا البحث قد ابتدأت من واقع
المأساة التي عاشها الصراع بين السلطة
والشعب ذروة غليانه عندما قرّر حزب البعث شنّ
حربه الظالمة ضدّ الدّين، والمرجعية التي كانت متمثلة
حينها بالإمام الشهيد المرحوم آية الله العظمى السيّد
محمد باقر الصّدر (قدّس الله تعالى نفسه الزكية)،

واشتدَّ الصِّراع يوم تسلَّم صدام التكريتي رأس السلطة، فبدأ المتدينون يهجرون الوطن، ويهاجرون منه إلى دول الجوار العربية والإسلامية، ولم يفكروا بالهجرة إلى الدول البعيدة الإسلامية فضلا عن الدول الأخرى غير الإسلامية لأسباب وطنية ودينية فقد عرف عن العراقي حبه لأرضه ووطنه، كما أن هناك الفتوى الدينية التي تحرّم الهجرة إلى بلاد الكفار المكتوبة تحت عنوان التعرّب بعد الهجرة، ولكن المحنة طالت، وبدأت المشاكل تكبر على المهاجرين، حتى ضاقت بهم الحكومات والمضيفون العرب والمسلمون، بينما قام الغرب بلعب الورقة بطريقة أخرى معاكسة تماما ومغرية بشكل كبير فهم يعطون للمهاجر كلّ ما لم يحلم به من احترام معونات مادية، وراتب

شهري مجاني، وخدمات، ومعونات، وبطاقة سفر
وجنسية، وفتحوا أبواب سفارتهم يستقبلون العراقيين
في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، ولكن لم
يتجاوب المتدينون مع هذا المشروع لسبيين، وكلاهما
يرجعان لأمر ديني:

أولاهما: كان المتدينون يرون أنهم يعيشون في دولة
إسلامية تريد أن تحقق آمال الأنبياء عليهم السلام،
وقد استشهد من أجل الإيمان بها والدفاع عنها كبار
رجال العراق وعظمائه، ويقف على رأسهم المرجع
العظيم الإمام الصدر (قدس سره).

وهم يعتقدون أن هذه الدولة تعبّر عن
حلمهم الديني بإقامة الدولة الإسلامية التي
توطأ للمهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف

(سلطانه، فهي بالتالي دولتهم، وهم مواطنون فيها؛ فيجب عليهم أن يتحملوا نفس الواجبات التي يتحملها المواطنون الآخرون من سكان هذه الدولة الأصليين؛ ولهذا السبب بالذات وجدناهم تقدموا ركب الجهاد للدفاع عن بيضة الإسلام، وقدموا قوافل الشهداء في هذا الطريق المقدس.

والسبب الثاني: كانت هناك الفتوى الشرعية التي تحرم الهجرة من دولة الإسلام كما كان يفهمها أكثر مفكري وقادة العراقيين الذين يسكنون تلك البلاد، وبدلوا الجهد الإعلامي والثقافي الكثير لتحديد مسيرة القواعد الشعبية باختيار المنطقة الجغرافية للسكنى فيها، ولا أريد أن أكشف الأسباب الحقيقية التي

كانت وراء هذا الموقف من القادة العراقيين، وهل كانت الدوافع الحقيقية سياسية محضة وليست ناشئة من دواعي الفتوى؛ وذلك من أجل إبقاء القواعد مجتمعة في المكان المناسب للعمل من أجل إسقاط الطاغية، كما يحلو لبعض المتضررين أن يقول ذلك عند تفسيره لهذا الموقف، كما أنني لا أريد هنا تنفيذ هذه الدّعوى أيضاً، وإنما أقف على الحياد العلمي الذي يستدعيه المنهج العلمي لكتابة التاريخ.

وربما كان بعض العراقيين غير مقتنع بهذه الفتوى، وكان هناك من يرى نفسه غير مشمول بها لتحقق بعض الضرورات فيه التي ترفع المحضور إستناداً إلى قاعدة: (عند الضرورات تباح المحضورات)؛ بالإضافة إلى وجود أشخاص لم يرتبطوا بالحلال

والحرام بشكله الدقيق الذي من المفترض أن يتحقق في كل متدين.

ولو أضفنا إلى ذلك الظروف المعيشية الصعبة التي كان يعيشها الناس بشكل عام بسبب الحرب المفروضة التي أوجدها صدام، والحصار الإقتصادي الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية؛ والتي كانت قد ازدادت أثقالها على العراقيين بشكل إضافي مرهق.

ومع كل ذلك لم تجد أبواب تلك السفارات من يقرعها إلا المهاجرون غير المسلمين من الآشوريين، وآحاد من الناس.

أمّا لماذا تلكا المشروع الغربي في بدايته؟

فكان يقبع أهم سبب لذلك وراء نجاح الحلقة الإعلامية والثقافية بإيجاد جو عند العراقيين بإحساس الخطأ غير المفسر.

وأقصد من الخطأ غير المفسر: أن العراقي كان يحس بالجور العام الذي يمنعه من الهجرة يحكمه بدون لحاظ إقتناعه بهذا المنع، أو عدم إقتناعه به، ففي تلك الأجواء الساخنة كان الخوف من اللامحدد (الديني أو الإجتماعي، أو عم الإعتياد على السفر.. الخ) . ويقف إلى جنبه الحياء من الآخرين؛ لأن الثقافة التي كانت حاكمة كانت تعتبر الهجرة ذنباً (دينياً، أو اجتماعياً كل بحسبه) ولا تقبل المبررات وإن كانت واقعية، وحقيقية.

الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات

ولكنَّ الأمور تغيَّرت بعد وقف اطلاق النَّار، ورحيل
الآمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) وبدأت
قوانين الهجرة تطبق بشكل حربي ووطني قطري بعيداً
عن المفاهيم الإسلامية النظرية العامَّة المنصوص عليها
في القرآن وأحاديث النَّبي وأهل بيته عليهم السَّلام؛
مثل صريح قوله تعالى في الآية الكريمة: (والذين تبوءوا
الدار والإيمان من قبلهم يجبون من هاجر إليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على
أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحَّ نفسه
فأولئك هم المفلحون) الآية ٩ من سورة الحشر.

ويمكن للمنصف أن يجد المرير الشرعي والواقعي

لهذا التَّصرف؛ ومن جملة تلك المبررات:

أن تلك النصوص ربما أمكن حملها على الإستحباب. وربما يقال أن تلك النصوص مطلقات تقيدها نصوص وقواعد أخرى، أهمها أن للحاكم، والفقير، وولي الأمر الحق بإيقاف العمل بها مع وجود مصلحة إجتماعية أو سياسية أو غيرها.

ومهما يكن الأمر، وبعيداً عن تحديد جهة الصواب، وانسياقاً ضمن منهج الحياد فإن هذه المواقف الجديدة قد ساهمت إلى حدٍ ليس بالقليل في رفع الموانع الدينية والإجتماعية أمام الهجرة بشكل عكسي دعى تلك السفارات أن تغلق أبوابها، ومن ثم تشدد على منافذ الدخول لبلدانها، وتتطور الحالة بما يجعلها تعيد النظر بقوانين الهجرة لديها.

ثمَّ جاءت الإنتفاضة الشعبانية ونزح من العراق
مئات الالاف الجدد وبدأت الهجرة الجديدة خوفاً من
إرهاب السلطة، وإعداماتها.

وكان لهؤلاء المهاجرين الجدد مبرراتهم الدينية
والواقعية للهجرة، وذلك لأن النظام الصّدامي لا
يعرف قوانين حقوق الإنسان، وأنَّ أهون وأدنى
عقوبة له هي عقوبة الإعدام، ووشم الجباه، وقطع
الأذان، وكأنَّه يعيش في قرون العصور الوسطى.

وكانت السلطة في خلال هذه السنين العجاف تمنع
على العراقيين السفر خارج القطر، وحبست الشعب
في السجن الكبير؛ ولكن وبعد الضغوط الدولية
قررت الحكومة أن تخفف الحصار الداخلي وتسمح
للعراقيين بالسفر خارج العراق. فكانت ردود الفعل

سلبية حيث برزت ظاهرة تفريغ العراق من أهله؛ وبدأت الهجرة الجديدة التي لم تأخذ طابع الخوف؛ وإنما اكتسبت هذه الهجرة صبغة جديدة يمكن أن نسميها بالهجرة الترفيحية، والهجرة البطرية، وكانت كالزلازل، أو الطوفان، أو الرياح العاصفة المدمرة؛ فهؤلاء المهاجرون الجدد لا يحملون قضية مقدّسة، ولا يحملون قضية محترمة، ولا يوجد مبرر لإخلاء العراق وتفريغه لصدّام وأعوانه فيبقى بدون معارض.

أضف إلى ذلك أن الكثير من أولئك كانوا جزءاً من الطبقات المنبوذة أخلاقياً مما عكس صورة قبيحة أو غير مرضية عن العراقيين ممّا أضاف إلى محنة العراق والعراقيين وبالخصوص المهاجرين القدامى أصحاب

القضية المقدّسة محناً جديدة زادت في الطين بلة؛ ممّا دعانا إلى التنبيه على خطورة هذه الهجرة غير المبررة والتي هي أجلي المصاديق للهجرة التي ذمّها القرآن الكريم بقوله تعالى: (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) من الآية ٤٧ من سورة الأنفال.

وكنت أحسب أن هذا المقال قد استنفذ غرضه بعد سقوط النظام الدكتاتوري، وقيام عهد العراق الديمقراطي الجديد ولكنّ الظاهرة برزت من جديد وبشكل أضخم وبلون قاتم مخيف ينذر بأيام عجاف، ومخاضات عسيرة لأحداث ومستقبل فيه من صور المجهول الشيء الكثير.

إنني في هذه المرّة لا أخاف من هروب العراقي من وطنه، وهجرته من ذاته؛ وإنما أنا خائف من طلاق

العراقي لوطنه في هجرته عن وطنه، وخائف من هجرة العراقي عن وطنه وهو يعيش في وطنه كما يخطط لهذه النتيجة المأساة شياطين الظلام؛ فإنهم لا يريدون للعراقي أن ينتمي إلى وطنه، ويعتزُّ بوطنه؛ لأنَّ هذا الإيمان المقدَّس يتناقض مع أهدافهم ومخططاتهم؛ فهم يريدون العراق لهم وليس لعراقه.. وعلى هذا الأساس سرت مؤامرات الإرهاب بتخريب البلاد وتهجير العباد، فهل العراقي الذي يحب بلده، ويعتزُّ ببلده هو الذي يخرَّب بلده؟! هل ضرب وتفجير المؤسسات الخدمية لمصلحة العراق والعراقيين؟! هل سرقة أموال العراق تصب في مصلحة الوطن؟! هل

ولا أخالني محتاجاً للإسترسال بالأسئلة، فهي متداولة على الألسنة، وينطق بها صغير و كبير.

وقبل أن أنهي كلامي أحب التنبيه على توضيح منهجي في هذا المقال إنني قد انطلقت في كتابته بالطريقة العقائدية الإيديولوجية مخاطباً به عقول الصالحين من عباد الله تعالى فإنه أقرب إلى الحق والحقيقة، وإن ربّما أشكل على المنهج بشكله العام بعض الناس لأنه لا يشبع جائعاً، ولا يجل مشكلة حياتية على الأرض.

لكنني أقولها بصراحة أن الذي يجل المشكلات هو هذا المنهج الواقعي، وأما الإبتعاد عنه ومحاولة حل المشاكل الحياتية بالطرق المادية فقط أن هذا هروب من الواقع، ولا يزيد المشكلة إلا تعقيداً. وبالخصوص

فإنَّ هذه المشكلة ناشئة من أبواب ثقافية ومن يد
دخيلة مملوءة سماً ونفاقاً نسأل الله تعالى أن يقطعها
ويوحد كلمة المسلمين على التقوى، وآخر دعوانا إنَّ
الحمد لله ربَّ العالمين.

ياسين الموسوي

صباح العشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٢٧ للهجرة
بغداد؛ مستجيراً بحرم الإمامين موسى بن جعفر الكاظم،
ومحمَّد بن عليّ الجواد عليها السلام.

الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات
الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات
الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات
الهجرة من الوطن أم الهجرة من الذات

الهجرة من الوطن أم هجرة الذات ...

الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي شهدتها مجتمعنا
العراقي جديدة بلفت الإنتباه لدراستها والإهتمام بها؛
فإنَّ المجتمع العراقي الحديث جديد عهد على هذه
الظاهرة التي لم يألفها في تاريخه القريب، فقد عرف
مجتمعنا الإستقرار والثبات ولم يُعَرَف عنه التنقل
والسفر، حتى إنَّنا كنا نعدُّ السفر خارج البلاد أمراً
يتندر به، ومادة تستحق الحديث عنها للتعجب
والإستغراب .

وبدأ تاريخ الهجرة عن الوطن كظاهرة بعد الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١ ميلادية، وازدادت وتضخمت حتى شهدت أخطر حالاتها في الأوقات الحالية حيث تحوّلت من ضرورة واضطرار يجبر الإنسان أن يهجر وطنه للمهاجر فيقدم على الهجرة بتردد وقلق عازماً على العودة بأقرب وقت تسمح له الظروف للعودة .. إلى هدف يحلم الشباب ويسعون إلى تحقيقه مهما كلف الثمن، وباستخدام الوسائل اللامشروعة بالإقدام على المغامرة التي كثيراً ما كانت نتائجها تؤدي إلى شبه الإنتحار، وإحدى صورها الجثث الطافية في بحار العالم .. ويتحول المهاجرون إلى مواطنين غريبين قد فقدوا الهوية الحقيقية وضاعوا بين دعوات الذات واغتراب الغرب ، وحاول بعض الناس أن يتمادى فينضروا للتغريب بأن يفلسفوا الإنتماء للأرض بروح عدم المبالاة بدعوى عدم

واقعية الإنتماء للتراث والعاطفة، فلا أواصر تشدّ إلى التاريخ وقيمّ العادات والتقاليد الشعبية؛ وأين هم من حين الذات إلى الأصل ..

وبين رؤية متغيرة للأشياء؛ فلا ثبات ولا ثبوت للوطن ولا غيره؛ مما حفزّ العقل للعودة الى التفكير للمخزون الذهني والنفسي عن حبّ الوطن ، ومعنى الهجرة فجرّت هذه الدعوة حواراً فكرياً في داخل النفس ضمن دوائر العقل عن معنى الهجرة وحقيقة الوطن اشترك فيه الموروث من الرؤية الفكرية ومخزون العاطفة، ونظرة المهاجرين الجدد إلى الوطن.

الهجرة والوطنية

ماذا تعني الهجرة من الوطن؟

وأين تضع حبك للوطن مع حبك للهجرة؟

يقول المهاجرون : ضاق بنا وطننا فلا حرية

رأي ولا حق لنا بإدارة الوطن.

وهناك وقعت معركة غير متكافئة بين حُبنا للوطن الذي يفرض علينا التشبث به والبقاء ، وبين حُبنا للوطن الذي يلزمنا الدفاع عن كرامته وتحدي حكامه وتأنيبهم والسعي لتأديبهم ، فانتصر بالأخير سَوَطُ الحكام فهربنا منهم بعيداً خارج الوطن .

وقال مهاجرون: نحبُّ الوطن ؛ ولكن ماذا نعمل وقد عَطْنَا الحصار بجوعه وعوزه فهربنا من الجوع إلى المكان الذي قد نجد فيه الشعب ، ورأينا الحاجات الحياتية العادية التي كانت ممنوعة في وطننا .

وقال مهاجرون: إننا نريد أن نعيش كما يعيش البشر في العالم أحراراً بالرأي والعقيدة، مختارين الموقف، ونعيش الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونملاً جيوبنا بالعملة الصعبة بلا تعب ولا مشقة ولا عمل وهذا ما نجدُه في المهجر.

فأجابهم الوطني : وأين حبُّ الوطن، ومفاهيم
الوطنية التي يفترض فيها إنها قد نبتت في لحومكم
وعظامكم ؟

فأجاب المهاجرون: كان ذلك أيام زمان قبل أن
يحكم العراق صدام، و أما بعد أن حكم الوطن صدام
فقد تغير الحبُّ من حبِّ الوطن إلى حبِّ صدام، وبما
أن هذا الحبُّ غير أصيل ولا ينسجم مع الفطرة فلم
يدم و أبدل بالكرهية والحقد للحبِّ الجديد ، وبما
أننا لم نتعلم حبَّ الوطن فقد نسينا الاثنين ولم يبقَ
أماننا إلا الهجرة ..

إذن هل أن حبَّ الوطن فطريٌّ وغريزي ، أم
أنه اكتسابي ؟

وإذا كان الأول فلماذا نساها المهاجرون؟
ألأنهم أنذال، وغير أصلاء (أعوذ بالله تعالى)؟

أم لأنهم يكابرون ، فالحبُّ للوطن يملأ قلوبهم
ولكنهم ..؟
أم أننا لا نعرف حقيقة الوطن، وأن كل ما
عرفناه عنه إنما هو وهم وخيال .

فما هو الوطن؟ هل هو الأرض التي
ولد بها الإنسان؟ أم هو الأرض التي قرر الإنسان أن
تكون له وطناً؟

لماذا نقدّس الوطن ونلزم أنفسنا بحبّه ، والوفاء
له، والتضحية من اجله؟
هل يحقُّ للآخرين أن يفرضوا علينا ذلك بلا
مقابل؟

أم أن الوطن يمثل توفير حاجة من حاجيات
الإنسان كما هو الطعام والملبس، فيمكنه أن يُنتفع
منه بلا مقابلة بالمنفعة، وإن الطعام والملبس إنّما وجد
لأجل خدمة الإنسان، ولم يوجد الإنسان لخدمة
الطعام والملابس.

وكذلك الأرض والوطن فإنه مخلوق ليستفيد منه الإنسان، ويعيش على أرضه، ويسكن تحت سمائه، فلماذا لا ينتفع بكل أرض، ويجعلها وطناً له من دون أن يخسر شيئاً له ؟

وكما يمكن أن يقال: فإن حياة الإنسان ثمينة، ومقدّسة، ولا يمكن أن تبادل بشيء يمكنه أن يعوّض أو يبدّل ويغيّر.

ومنطق الحياة يفرض على الإنسان أن يحتفظ بالثابت، ويقدّس الثبات، ولا يبالي بالمتغير، ولا يتشبث بما يمكننا مبادلتته بلا عوض.

ولو رجعنا إلى التاريخ فسوف لا نجد إنساناً عاش مع أجداده في وطن واحد، وعلى أرض واحدة، فهجرة القبائل من اليمن إلى نجد، ومنها إلى العراق، ومنها إلى إيران، وإلى أماكن أخرى من العالم تشير إلى هذه الحقيقة؛ وإن كانت تصلح

كمثال، فإن لها أكثر من شاهد في الهجرات الفردية ،
أو الجماعية في العالم؛ فإننا نعتقد أن أصل الإنسان
آدم، وهو عليه السلام لم يتوطن أرضاً واحدة، بل
هاجر إلى أراضٍ متعددة في العالم واتخذ له أوطاناً
عدة.

فإذا كان إنسان ما قد ولد في بغداد هو ،
ومجموعة من آبائه وتشرف بالإنتماء إليها، فهل يلزم
هذا الإنتماء أولاده الذين ولدوا في عمان، أو دمشق،
أو لندن، وكبروا وترعرعوا في تلك البلدان البعيدة
عن بلاد آبائهم؟

هل يلتصق بهم (الأبناء) ذلك الانتماء إلى الوطن
كما يلتصق بهم النسب إليهم، ورغماً عنهم وبدون
إرادتهم سواءً رضوا بذلك أم لم يرضوا؟

هل يمكننا أن نلوم أطفال المهاجرين إلى الغرب
من العراقيين في زمن المحنة ، والذين كبروا هناك

فحملوا عادات غير عادات آبائهم ، وحملوا تقاليد غير تقاليدهم، وتكيفوا مع حياة الغربيين؟
 فهل يمكننا أن نلومهم على جهلهم، أو عدم اعتنائهم بعادات الآباء وتقاليدهم التي ورثوها من وطنهم؟

ثم هل يمكننا أن نحاسبهم لأنهم لم يتولد في نفوسهم الحبُّ لوطن آبائهم لأنهم لم يرونه، ولم يعرفوا عنه شيئاً إلا ما سمعوه من الآباء، أو من الكتب والصحف والتلفزيون؟

هل أن ما نشاهده من ظاهرة إجتماعية في مَنْ هاجر أبائهم إلى الغرب بعدم الإهتمام والتفاعل مع حبّ الوطن الأم ؛ ومن ضعف الارتباط به يعكس كارثة إجتماعية وطنية تحتاج إلى دراسات ميدانية وعلمية، كما أنه مرض طارئ يدعو لعلاجه، أم أنه

أمر طبيعي ، وعلينا أن نتقبله بشجاعة ، وأريحية،
 وحكمة لأنه ينسجم مع الواقع وحقائق الحياة ؟
 ولو أننا رجعنا إلى تاريخ الوطنية فإننا لم نجد
 مفهوم الوطن والوطنية عميقاً في تاريخ الإنسانية، و
 إنما قد تبلور قبل عدة مئات من السنين، وربما يكون
 قد برز أول مرة وعرفته الإنسانية عندما ظهرت
 الدعوات القومية من إيطاليا، ثم انتقلها إلى بروسيا
 (ألمانيا والنمسا)؟

فهل يمكننا أن ندعي إنَّ الوطن ، وحبَّ الوطن
 نابع من الفطرة الإنسانية السليمة؛ مع العلم أنَّها
 ظهرت متأخرة في حياة الإنسان ؛ فلو كانت نابعة
 من الفطرة السليمة فلماذا لم تظهر قبل هذا التاريخ،
 مع إنَّ الفطرة السليمة لازمت الإنسان من أول يوم
 حلَّ فيه ساكناً الأرض !!؟

إذا لم تكن الوطنية حالة غريزية طبيعية في حياة الإنسان فهل علينا أن نرجعها في حدوثها إلى الأفكار والأيدولوجيات التي صنعها الإنسان والتي نبعت من دوافع الإنسان النفعية إمّا لذات الفرد، أو للأمة والجماعة كما أن الإنسان هو الذي صنع النظام الاجتماعي والإقتصادي الذي حكمه بحياته الفردية والعامّة، من أجل أن يضمن سعادته واستقراره ؟

وجميع هذه الأسئلة قد تبرر للترف الجديد الذي سيطر على سلوك المتمردين المهاجرين في الغرب لرفضهم إعطاء الوطن الذي هاجروا منه حقوقه الوطنية بالانتماء إليه والدفاع عنه.

ولكنّ هناك الأجوبة التي يسجلها الآخرون لتلك الاستفهامات ، فأنّهم يقولون:

إنّ الوطنية نزعة إنسانية عايشة الإنسان منذ بداياته وساعاته الأولى، وقد كانت عند الأجداد،

وعند أينا آدم عليه السلام وَمَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِ، وهي تعبر عن العلاقة الجدلية بين الإنسان والأرض التي لا تكاد تنفك في جميع العصور التاريخية لأنها تشكل جزءاً من حياة الإنسان، وليست هي افتراضات صورية أوجدها الإنسان في صراعاته الفكرية المرحلية.

فحبُّ الإنسان للأرض حُبٌّ فطريٌّ تاريخيٌّ، فلا يمكننا تصور الإنسان بلا أرض.

وقد أكَّدت على هذه الحقيقة الأديان التي هي الأعراف بخفايا الإنسان ، والأعلم بأسرار الكون والحياة.

قال تعالى : (أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) ^١.

فقد ساوى القرآن الكريم بين النفي من الأرض (وهو الإبعاد عن الوطن)، وبين تقطيع الأيدي، والأرجل، والقتل (وهو أبشع حالات العنف الذي يمكن أن يتصور في حياة الإنسان)، مما يعكس الرؤية الإلهية للعلاقة الطبيعية بين الإنسان ووطنه.

وفي صورة أخرى من الصور القرآنية التي صور بها هذه العلاقة المقدسة بين الإنسان والأرض عندما نقل تهديد الكفار لرسولهم بقوله تعالى:

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ
﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ
مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)١.

فنجد القرآن الكريم ينقل مقررًا التهديد الإرهابي الصادر من الكافرين لرسولهم، وأنهم لم

يجدوا أشدَّ إرهاباً من تهديد الأنبياء من الإبعاد عن الوطن، أو الإذعان لإرادتهم .. فهم لم يهددوهم بالقتل، بل هددوهم بأشدَّ أنواع وصور الإرهاب والعنف الذي تجسد بالنفي والإبعاد عن الوطن.

كما يؤكد هذا التقرير القرآني التبشير الإلهي

بقوله تعالى :

(وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ

مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ).

و بمقدار العنف والإرهاب الذي استخدمه

الكفار عندما خوفوهم بالنفي من الوطن فقد جاء

البيان الرباني ليطمئنهم ، ويثبتهم، ويشرهم أنَّهم

سوف يبقون في الوطن، ولا يستطيع الكفار أن

ينفيهم منه.

وجاءت الإلتفاتة القرآنية المعبرة عن صحة هذه

العلاقة الجدلية بين الأرض والإنسان في إنَّها نطقت

صريحة أن نعمة بالبقاء إنما تتحقق في الوطن وهي
تجيء باللطف الإلهي :

(لَمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ)¹.

وقد جاء تصور قرآني آخر يعكس أهمية هذه
العلاقة بين الأرض والإنسان عندما نقل الحوار الذي
جرى بين ملأ فرعون وقومه بمجموعة من الآيات
القرآنية في قوله تعالى :

(قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ
يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)².

وقال تعالى ناقلاً الحوار في آيات أخرى :

(فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)³.

١- من سورة ابراهيم: من الآية ١٤

٢- من سورة لأعراف: الآية ١٠٩-١١٠.

٣- من سورة طه: الآية ٦٠.

وقد نقل القرآن الكريم الحوار عن لسان

فرعون حيث:

﴿قَالَ لَلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ
أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^١.

فقد إستخدم فرعون وملاه الحرب النفسية لتخويف الأمة من موسى (عليه السلام) بواسطة التعبأة النفسية ضده، ولذلك فهو يخوفهم من موسى بدعوى .. يريد أن يخرجهم من أرضهم ؛ وذلك لأن أشد حالات القسوة والعنف هو الخوف من الإخراج من الوطن .

وهذا ما نجده أيضاً في الإنتقام الإلهي من بني إسرائيل الذين عصوا الله تعالى ، وعبدوا العجل ، ولم يدخلوا الأرض المقدسة التي جعلها لهم موطناً جديداً عوضاً عن الموطن الذي أُخرجوا منه فجاء البيان

١- من سورة الشعراء: الآية ٣٤-٣٥.

الإلهي بقوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَوْلِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُمْ
مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٠١﴾ يَا قَوْمِ
ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا
عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٠٢﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا
قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُودِخُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿١٠٣﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ
يَخَافُونَ أُنْعِمِ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ دَخَلْنَا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا
دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنُودِخُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا
فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ
رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ
فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٧﴾

وذلك لأنَّ أشدَّ عقوبةً يمكنها أن تتصور بحق الإنسان هو أن يبقى تائهاً بلا وطن .
ومع أن الروايات المقدَّسة أقرت العلاقة التكوينية بين الإنسان والأرض ولكنها أبقت تلك العلاقة محدودة لم تدخلها في برنامجها الفلسفي للبند القومية للنظم الإجتماعية والسياسية التي ظهرت في العصور المتأخرة في أوروبا وانتقلت أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى البلاد العربية وتركيا وإيران .

فالأديان المقدَّسة ميَّزت بين علاقة الإنسان والوطنية بحقه للأرض وشرعية حبه للوطن.

روي عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (حبُّ الوطن من الإيمان)'.
وكذلك فإنها أثبتت أن مَنْ يُقْتَل دافعاً عن بيته ووطنه و أرضه فهو شهيد.

كما أن الأديان المقدّسة قد ميّزت بين الإنتماء العاطفي الصحيح وبين الإنتماء العرقي والطبقي والقومي الذي لم يبتني على أسس غير واقعية ، كما أعطي مبرراته الأيدلوجية البعيدة عن أصالة الذات .
وفي الوقت الذي تبنت الأديان المقدّسة العلاقة الجدلية القائمة بين الإنسان والأرض فإنها رفضت

١- راجع: أمل الأمل: الحر العاملي : ج ١ : ص ١١ : تحقيق السيد أحمد الحسيني .

سفينة البحار : الشيخ عباس القمي : ج ٨ : ص ٥٢٨ ، الطبعة الحديثة .

ميزان الحكمة : الري شهري : ج ١٠ : ص ٥٢٢ : ، الطبعة الجديدة .

مستدرک سفينة البحار : ج ١٠ : ص ٣٧٥ . وغيرها من المصادر، كما أن

هناك بعض المؤلفات في شرح الحديث .

بشكل قاطع العلاقة المصطنعة الصورية التي صُدّرت
إلى البلاد الإسلامية من أوروبا.

ولذلك نجد القرآن الكريم يؤنب المستضعفين
الذين رضخوا للكفر، ولم يقاوموه، ولم يهاجروا إلى
البلاد الآمنة لممارسة شعائرهم الدينية واحتفاظهم
بدينهم وإيمانهم، ويرفض تفضيل الوطن على التعلق
بالدين فقال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا
فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
وَسَاءَتْ مَصِيرًا) .

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْطَلِقَ لِفَهْمِ الْجَدَلِيَّةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ
وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ يَدْرِكُ بِأَبْسَطِ وَسِيلَةٍ مِنَ التَّفَكِيرِ إِنَّ
العلاقة غريزية فطرية نشأت مع الإنسان، واستمرت

في حياته، ولا يمكنه أن يتجاهل هذه الحقيقة الواقعية إلا إذا اغمض الإنسان عينه وضيع تفكيره، أو كان شاذاً في تفكيره لينتهج منهجاً مثالياً غير واقعي .

فلذلك يبقى الإنسان الذي سكن بغداد ولكنه ينتمي إلى جذور تاريخية لكربلاء يحنُّ إليها ويعتزُّ بالانتساب لها ويفتخر أن يقال له كربلائي .

ولكن هذه العلاقة سوف تبقى كباقي العلاقات الإنسانية التي تلازم صفاء الفطرة وتجاري واقع الغريزة؛ بسيطة غير معقدة في تركيبها ، لتنشأ مع الذاكرة وتسكن في الضمير ، فإذا ما ابتعد الإنسان في يومياته بغور التاريخ المستقبلي فسوف تضعف تلك العلاقة تدريجياً إلى إن تتلاشى؛ ويكون حالها كحال العلاقات النفسية العاطفية الأخرى إلا إذا جذرت فكراً وفُلسفتَ ضمن أسس عقلية تعطيها الثبات والاستقرار .

وهذا بالضبط ما هو حادث بالنسبة إلى موضوع الوطن فإنَّ العلاقة بين الإنسان والأرض تنشأ من أصول نفسية تحكمها روابط الألفة والعادة، ثم تكبر وتتطور حتى تأخذ أبعاداً أكبر من أحكامها، فتعكس في أحاسيس الوجدان والضمير، وتتحوّل إلى قواعد يفلسفها العقل وينظر لها بما ينسجم مع دوافعه بما يخدم مصالحه الذاتية، وإنَّ من مهمة الأديان تهذيب الأحكام النفسية والإحتفاظ بالصحيح منها وتنضيجه حسب الضوابط العقلية الثابتة.

فلهذا جاءت الرؤية السماوية لمفهوم الوطن وتحديد العلاقة الصحيحة به^١ مهذبة للعواطف الفطرية بصياغة مفاهيمها وتحديد ضوابطها القانونية في الحقوق والواجبات طبق أسس الثبوت.

١ - راجع تفصيل ذلك في بحث (الوطن والمواطنة في الفكر الإسلامي)

وقد ميزت الرؤية الدينية بين العلاقة النفسية للوطن التي يحكمها المتغير ، وبين الفكرة الفلسفية لهذه العلاقة التي نظرتّها تحت مواد قانونية تحكمها الثبوت المطلق.

وقد احترمت العلاقة النفسية إلى أبعد الحدود بحيث اعتبرت الإبعاد عن الوطن بمرتلة القتل كما تقدم بيانه.

وصاغت مفهومها للوطن منطلقة من الأيديولوجية الدينية التي توجد العلاقة بالمطلق (وهو الله سبحانه وتعالى)، وبرُسله عليهم السلام، وكتبهم، والأوصياء عليهم السلام وما جاؤا به من قوانين وتعليمات.

ووضّحت العلاقة بالأرض بما هي مرتبطة بالعقيدة ، ولذلك وسّعت دائرة الإنتماء للأرض بما يشمل جميع الأراضي التي يقطنها أصحاب العقيدة)

المسلمون)، وقد سُمِّت هذا الوطن الكبير (بدار الإسلام) مقابل الأرض التي يسكنها أعداء العقيدة التي سُمِّت بها بـ(دار الحرب).

ومع إنَّ الشريعة الإسلامية إحترمت جميع الأرض التي يسكنها المسلمون بما يمكنها إن نطلق عليها بـ(الوطن الإسلامي) فإنَّها منحت الأرض التي تحكمها العقيدة كنظام سياسي وثقافي وإجتماعي خصوصية أكبر ممَّا منحتها الأرض التي يسكنها المسلمون ولكنها لا تخضع لحكم إسلامي ، ولذا عبّرت عنه بـ(دار الهجرة).

وقد نظَّمت جميع هذه العلاقات تحت أسس وضوابط قانونية تصلح كنظام سياسي وإداري وإجتماعي للمجتمع الإسلامي؛ ابتداءً من حقوق الدولة وواجباتها تجاه الإنسان (المسلم وغير المسلم الذي يخضع لقوانينها)؛ وإنتهاءً بحقوق وواجبات

الإنسان (المسلم وغير المسلم) الذي يخضع لقوانين الدولة الإسلامية^١ .

وليس معنى ذلك إن الشريعة الإسلامية قد وضعت الأرض في هامش العلاقات الإنسانية ؛ بل العكس من ذلك فإنها في الوقت الذي أعطت الأهمية للعقيدة لتحديد العلاقة بالأرض فإنها قدّست العلاقة بالأرض حيث جاء البيان القرآني مصرحاً بأن الأرض لله يورثها مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، قال تعالى:

(قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)^٢ .
وقال تعالى : (وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

١ — ولسنا هنا بصدد توضيح هذه القوانين وإنما نوكلها إلى حينها من

البحوث التي يمكنها أن تختص بها.

٢ — الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا
وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ) ١.

وقال تعالى على لسان عباده الصالحين :

(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا
الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) ٢.
وقال تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) ٣.

وفي الآيات الكريمات تصريح بين لمقولة النظرية
الإسلامية بأن الأرض كلها لله تعالى وحده، وإن
حكمها والتبوء بين مناكبها حق طبيعي للصالحين
وحدهم وإن غضبوا هذا الحق في فترة قبل الانتصار

١— الآية ١٣٧ من سورة الأعراف.

٢— الآية ٧٤ من سورة الزمر.

٣— الآية ١٠٥ من سورة الأنبياء.

النهائي الذي سوف يقع في آخر الزمان على يد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف . ولكنّها ومع كلّ ذلك لم تترك هذه المقولة تنفذ بشكلها المطلق ، و إنما أخضعتها لأسس فكرية ، وضوابط تشريعية لا تستطيع هذه المقالة أن تشرحها تفصيلاً و إنما نوكلها لمقالة أخرى يمكنها أن تتخصص بذلك .

ومن تلك الضوابط التشريعية إلغاء العلاقة القانونية للمسلم بالنسبة إلى دار الحرب، ووجوب الهجرة عليه إلى دار الإسلام من أجل الحفاظ على عقيدته و إظهار شرائع الدين إذا استلزم البقاء في دار الحرب ، والإرتداد عن العقيدة ، أو نقص في تدينه ، أو عدم القدرة على القيام بشعائر الدين. وان كانت بلاد الحرب هي الوطن الأصلي لهذا المسلم.

وهكذا تمَّ تحريم استيطان بلاد الحرب، أو بلاد الذمّة إذا استلزم هذا الاستيطان أحد تلك النقاط الثلاث، وهو المعبر عنه فقهيّاً بجرمة التعرب بعد الهجرة.

وهناك تقديس ديني لبعض الأراضي التي أعطيت صفة خاصة من الاحترام والتقدير ، والتفضيل التي ذكرت في بعض النصوص الشرعية والتي رويت عن النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين عليهم السلام .

وقد جاءت قداسة تلك الأرض إما لتفضيل ذاتي الهي، أو لأسباب دينية كـ (مكة المكرمة) التي شُرِّفَتْ بالكعبة الشريفة ، وجعلها الله تعالى قبلة للمسلمين؛ والمدينة المنورة مهجر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ومحل رفاته ورفات الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأربعة من الأئمة

المعصومين عليهم السلام و بعض أصحابه المنتجبين
رضي الله تعالى عنهم.

وتقع كربلاء، والنجف، والكوفة في مقدمة
قائمة الأراضي المقدسة حيث تضافرت النصوص
الكثيرة لأهميتها وقداستها فوسمت النجف بأنها دار
السلام، ومحل مهبط أرواح المؤمنين بعد الموت فقد
روى الكليني في الكافي الشريف بإسناده إلى حبة
العربي أنه قال :

خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر
(ويقصد به ظهر الكوفة وهو النجف الأشرف،
وحواليه، وقد كانت النجف تسمى كذلك وقتها
لوقوعها بظهر الكوفة) فوقف بوادي السلام كأنه
مخاطب لأقوام فقامت بقيامه حتى أعيت؛ ثم جلست حتى
مللت؛ ثم قامت حتى نالني مثل ما نالني أولاً؛ ثم جلست
حتى مللت ، ثم قامت وجمعت ردائي فقلت:

يا أمير المؤمنين إني قد أشفقت عليك من طول
القيام فراحة ساعة؛ ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال
لي: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسة .
قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإهم كذلك؟
قال: نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقاتاً حلقاً محتبين
يتحدثون .

فقلت: أجسام أم أرواح؟
فقال: أرواح؛ وما من مؤمن يموت في بقعة من
بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام، وإنها
لبقعة من جنة عدن .
وروى بالإسناد إلى أحمد بن عمر بن رفاعه عن
أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: إن أخي
بيغداد وأخاف أن يموت بها .

فقال: ما تبالي حيثما مات؛ أما إنّه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام .

قلت له: وأين وادي السلام؟

قال: ظهر الكوفة ، أما إنّي كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون^١ .

وقال الشيخ الديلمي (وهو من أعلام القرن الثامن الهجري) : روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: الغرّي قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً، وقدّس عليه تقديساً، واتخذ عليه إبراهيم خليلاً، ومحمداً صلّى الله عليه وآله حبيباً، وجعله للنبيين مسكناً.

١- راجع : الكافي الشريف : الكليني : ج ٣ : ص ٢٤٣ : ح ٢ .

وروي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) نظر إلى الكوفة فقال: ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري بها.

ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر، وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون بها هناك، كما وردت الأخبار الصحيحة عن أهل البيت (عليهم السلام).^١ والنَّجف ملك لأمير المؤمنين (عليه السلام) كما روى السيد ابن طاووس بالإسناد إلى عقبة بن علقمة أبي الجنوب قال:

اشترى أمير المؤمنين (عليه السلام) ما بين الخورنق إلى الحيرة إلى الكوفة في حديث ما بين النجف إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم وأشهد على شرائه .

١- راجع: إرشاد القلوب: الديلمي: ج ٢: ص ٣٤٧.

قال: فقيل له يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال
وليس يثبت حظاً؟

فقال: سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله)
يقول: كوفان، كوفان يرد أولها على آخرها، يحشر من
ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فاشتبهت
أن يحشروا من ملكي!

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه
السلام): والله لتقتلن بأرض العراق فتدفن بها .
قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها
وتعاهدها؟

فقال لي: يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك
وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتهما،
وإن الله تعالى جعل قلوباً من خلقه وصفوة من عباده تحن
إليكم، وتحمل الأذى فيكم، فيعمرون قبوركم تقرباً

منهم إلى الله ومودة لرسوله، أولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زوّاري غداً في الجنة .
وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه كان إذا أراد الخلوّة بنفسه أتى إلى طرف الغري ، فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف وإذا رجل قد أقبل من البرية راكباً على ناقة وقدّأمه جنازة ، فحين رأى علياً (عليه السلام) قصده حتى وصل إليه وسلّم عليه ، فردّ عليه السلام وقال له: من أين ؟ قال: من اليمن .

قال: وما هذه الجنازة التي معك ؟

قال: جنازة أبي أتيت لأدفنه في هذه الأرض .

فقال له (عليه السلام): لمَ لا دفنته في أرضكم ؟

قال: أوصى إليّ بذلك وقال: إنّه يدفن هناك رجل

يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر .

فقال له (عليه السلام): أتعرف ذلك الرجل ؟

قال: لا .

فقال (عليه السلام) : أنا والله ذلك الرجل ، قم فادفن أباك ، فقام فدفنه .

ومن خواص ذلك الحرم الشريف أن جميع المؤمنين يحشرون فيه .

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) : أنه قال : ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام .

قال : ما جاء في ذلك من الأخبار والآثار أنه بين وادي النجف والكوفة ، كأني بهم حلق قعود يتحدثون على منابر من نور ؛ والأخبار في هذا المعنى كثيرة^١ .

وذكرت الكوفة إنها بلد شيعة آل محمد عليهم السلام وما أرادها جبارٍ بظلم إلا قصم الله تعالى

١- راجع : إرشاد القلوب : الديلمي : ج ٢ : ص ٣٤٨-٣٤٩ .

ظهره كما جاء في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المنقول في نهج البلاغة: (كأني بك يا كوفة تمدّين مدّ الأديم العكاظي ، تعركين بالنوازل ، وتركيبن بالزلازل؛ وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل ، ورماه بقاتل ..) ^١.

وروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: هذه مدينتنا ، ومحلنا ، ومقرّ شيعتنا . وعن الصادق (عليه السلام) أنه قال: تربة تحبنا ونحبها . وعنه (عليه السلام): اللهم إرم من رماها ، وعاد من عادها ^٢.

وروى الشيخ المشهدي (وهو من أعلام القرن الخامس والسادس الهجري) بالإسناد إلى أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام): قلت

١- راجع : نهج البلاغة : ج ١ : ص ٤٢ .

٢- بحار الأنوار : ج ٥٧ : ص ٢١٠ .

له: أي بقاع الله بعد حرم الله وحرم الرسول (صلى الله عليه وآله) أفضل؟

فقال: الكوفة، يا أبا بكر هي الزاكية الطاهرة، فيها قبور النبيين المرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبياً إلا وقد صلى فيه .

وفيها يظهر عدل ، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين .
وروى بإسناده عن خالد القلانسي عن الصادق (عليه السلام) قال: مكة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام)، الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، الدرهم فيها بمائة الف درهم، والمدينة حرم الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام)، الصلاة فيها بعشرة ألف

صلاة، والدرهم فيها بعشرة ألف درهم، والكوفة حرم
الله وحرم رسوله وحرم علي بن أبي طالب (عليهما
الصلاة والسلام)، الصلاة في مسجدتها بألف صلاة^١.
وهذا الفرات يجري في ربوع العراق، ونأكل
من خيراته وثمراته، فإذا به قد ملأه الله جلّ جلاله
بركة.

وروى الشيخ الأقدم ابن قولويه المتوفى
سنة ٣٦٨هـ بإسناده عن عبد الله بن سليمان قال:
لما قدم أبو عبد الله (عليه السلام) الكوفة في زمن
أبي العباس، فجاء علي دابته في ثياب سفره، حتى وقف
على جسر الكوفة، ثم قال لغلامه: اسقني، فأخذ كوز
ملاح فغرف له به، ثم استزاده فزاده، فحمد الله ثم
قال: نهر ماء ما أعظم بركته، أما أنه يسقط فيه كل يوم

١- راجع: المزار الكبير: ص ١١٤.

سبع قطرات من الجنة ، أما لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا الأخبية على حافتيه ، أما لولا ما يدخله من الخاطئين ما إغتمس فيسه ذو عاهة إلا برأ^١ .
وروى بإسناده عن حكيم بن جبير قال : سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول :
إن ملكاً يهبط كل ليلة ، معه ثلاث مثاقيل مسك من مسك الجنة فيطرحها في الفرات ، وما من نهر في شرق ولا في غرب أعظم بركة منه^٢ .
وروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : تقطر الفرات كل يوم قطرات من الجنة^٣ .

١- راجع : كامل الزيارات : ص ١٠٩

٢- كامل الزيارات ح ٧ ، ص ١٠٨ .

٣- كامل الزيارات ص ١٠٨ ح ٨ .

وروى بالإسناد إلى الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: لو أن بيننا وبين الفرات كذا وكذا ميلاً لذهبنا إليه واستشفينا به^١.

فانظر إلى الإمام المعصوم (عليه السلام) وهو يتمنى أن يكون قريباً من هذا النهر المبارك، ويحث شيعته على ذلك، فأين العراقي من هذا الفضل؟

واسمعه واقراه في الحديث الذي رواه الشيخ الإمام ابن قولويه بإسناده عن سليمان بن هارون العجلي قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

ما أظن أحداً يحنك بماء الفرات إلا أحبنا أهل البيت، وسألني: وكم بينك وبين ماء الفرات، فأخبرته، فقال: لو كنت عنده لأحببت أن آتية طرفي النهار^٢.

١- كامل الزيارات ص ١٠٦ ح ٣.

٢- كامل الزيارات ص ١٠٧ ح ٤.

وروى بإسناده إلى حنان بن سدير قال: كنت عند أبي جعفر (عليه السلام) فدخل عليه رجل فسلم عليه وجلس ، فقال أبو جعفر (عليه السلام): من أي بلاد أنت ؟

قال: فقال الرجل: أنا من أهل الكوفة ، وأنا لك محب موال.

قال: فقال له أبو جعفر (عليه السلام): أتُصلي في مسجد الكوفة كل صلواتك ؟

قال: فقال الرجل: لا .

فقال أبو جعفر (عليه السلام): إنك تحروم من الخير.

قال : ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): أتغتسل كل يوم من فرائدكم في كل يوم مرة ؟

قال: لا .

قال: ففي كل جمعة ؟

فقال: لا .

قال: ففي كل شهر؟

قال: لا .

قال: ففي كل سنة؟

قال: لا .

فقال له أبو جعفر (عليه السلام) : إنك محروم من

الخير.

قال: ثمَّ قال: أتزور قبر الحسين (عليه السلام) في

كل جمعة؟

قال: لا .

قال: ففي كل شهر؟

قال: لا .

قال : ففي كل سنة؟

قال: لا .

فقال أبو جعفر (عليه السلام): إنك لحروم من

الخير^١.

وهذا مسجد السهلة وفضله الذي جاء في
الرواية عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال
لأبي حمزة الثمالي: يا أبا حمزة هل شهدت عمّي ليلة
خرج؟

قال: نعم.

قال: فهل صلّي في مسجد سهيل؟

قال: وأين مسجد سهيل؟ لعلك تعني مسجد

السهلة؟

قال: نعم؛ قال: أما أنّه لو صلّي فيه ركعتين ثمّ

استجار الله لا جاره سنة.

فقال له أبو حمزة: بأبي أنت وأمي هذا مسجد

السهلة؟

قال: نعم؛ فيه بيت إبراهيم الذي كان يخرج منه إلى العمالقة ، وفيه بيت إدريس الذي كان يخيط فيه ، وفيه مناخ الراكب ، وفيه صخرة خضراء فيها صورة جميع النبيين ، وتحت الصخرة الطينة التي خلق الله عز وجل منها النبيين ، وفيه المعراج ، وهو الفاروق الأعظم موضع منه، وهو ممرّ الناس ، وهو من كوفان ، وفيه ينفخ في الصور، وإليه المحشر ، يحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب .

أولئك الذين أفلج الله حججهم وضاعف نعمهم، فإنهم المستبقون الفائزون القانتون ، يحبون أن يدرعوا عن أنفسهم المفخر ، ويجلون بعدل الله عن لقاءه ، وأسرعوا في الطاعة فعلموا أن الله بما يعملون بصير ، ليس عليهم حساب ولا عذاب يذهب الضغن يطهّر المؤمنين ، ومن وسطه سار جيل الأهواز وقد أتى عليه زمان وهو معمور.

وروى ابن قولويه بالإسناد إلى الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) أنه قال:

يتخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وإنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رُفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون — أو قال: أولو العزم من الرسل — وإنما لتزهر بين رياض الجنة كما يُزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض، يغشي نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: أنسا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة!

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) فيما رواه عنه:
خلق الله تبارك وتعالى كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة
وعشرين ألف عام ، وقدّسها ، وبارك عليها ، فما زالت
قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك،
ويجعلها أفضل أرض في الجنة.. وأفضل منزل ومسكن
يسكن الله فيه أوليائه في الجنة^١.

وروى صفوان الجمال قال : سمعت أبا عبد الله
(عليه السلام) يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى فضّل
الأرضين والمياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت
ومنها ما بغت، فما من ماء ولا أرض إلا عُوقبت لتركها
التواضع لله، حتى سلّط الله المشركين على الكعبة وأرسل
إلى زمزم ماءً مالحاً حتى أفسد طعمه ، وإن أرض كربلاء
وماء الفرات أول أرض وأول ماء قدّس الله تبارك وتعالى
وبارك الله عليهما ، فقال لها: تكلمي بما فضلك الله تعالى

١- راجع : كامل الزيارات : ص ٤٥٤ : ح ١٤-١٥ .

فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض، قالت:
 أنا أرض الله المقدسة المباركة ، الشفاء في تربتي ومائي،
 ولا فخر بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ، ولا فخر
 على من دوي بل شكراً لله فأكرمها ، وزادها بتواضعها
 وشكرها لله بالحسين (عليه السلام) وأصحابه .

ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): من تواضع لله
 رفعه الله ، ومن تكبر وضعه الله تعالى .^١

وحظيت كربلاء بالقداسة العظمى حيث جعل
 الله تعالى تراهما مقدساً فهو الإكسير الأعظم لاستجابة
 الدعاء، ولشفاء المرضى، والأمان من الأخطار؛ وقد
 جعل الله تعالى الشفاء في طين قبر الإمام الحسين
 (عليه السلام) في كربلاء

١- راجع : كامل الزيارات : ص ٤٥٥ : ح ١٧ .

عن أبي الصباح الكناني عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: طين قبر الحسين (عليه السلام) فيه شفاء وإن أخذَ على رأس ميل^١.
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله (عليه السلام) وحرمة وولايته أخذَ من طين قبره مثل رأس أمّلة كان له دواء^٢.

وروي عن محمد بن مسلم الثقفي (وهو من أعظم أصحاب وتلامذة الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) قال: خرجت إلى المدينة وأنا وجع، فقيل له: محمد بن مسلم وجع، فأرسل إليّ أبو جعفر (عليه السلام) شراباً مع غلام مغطى بمنديل، فناولنيه الغلام وقال لي: إشربه فإنه قد أمرني أن لا أبرح حتى

١- راجع: كامل الزيارات: ص ٤٦٢: ح ٥.

٢- راجع: كامل الزيارات: ص ٤٦٥: ح ٨.

تشربه ، فتناولته فإذا رائحة المسك منه ، وإذا بشراب طيب الطعم بارد ، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك مولاي: إذا شربته فتعال ففكرت فيما قال لي ، وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلما استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه ، فصوت بي: صح الجسم أدخل .

فدخلت عليه وأنا باك، فسلمت عليه وقبلت يده ورأسه ، فقال لي: وما يبكيك يا محمد، قلت: جعلتُ فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقة وقلة القدرة على المقام عندك أنظر إليك .

فقال لي: أمّا قلة القدرة فكذلك جعل الله أوليائنا وأهل مودتنا وجعل البلاء إليهم سريعاً ، وأما ما ذكرت من العربة فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله ، وأما ما ذكرت من بعد الشقة فلك بأبي عبد الله (عليه السلام)

أسوة بأرضٍ نائيةٍ عنّا بالفرات ، وأما ما ذكرت من حبك قربنا والنظر إلينا ، وإنك لا تقدر على ذلك فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه .

ثمّ قال لي: هل تأتي قبر الحسين (عليه السلام) ؟

قلت: نعم على خوفٍ ووجل .

فقال: ما كان في هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف ، ومن خاف في إتيانه أمّن الله روعته يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة، وزاره النبي صلى الله عليه وآله وما يصنع، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسه سوء واتبع رضوان الله .

ثمّ قال لي: كيف وجدت الشراب ؟

فقلت: أشهد أنكم أهل بيت الرحمة ، وأنك وصيّ الأنبياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدر على أن أستقل على قدمي ، ولقد كنت آيساً من نفسي، فناولني

الشراب فشربته فما وجدت مثل ريجه ولا أطيّب من ذوقه ولا طعمه، ولا أبرد منه ، فلما شربته قال لي الغلام: إنّه أمرني أن أقول لك إذا شربته فأقبل إليّ ، وقد علمت شدة ما بي ، فقلت: لأذهبنّ إليه ولو ذهبّت نفسي؛ فأقبلتُ إليك فكأني نشطت من عقل ، فالحمد لله الذي جعلكم رحمة لشيعتكم، فقال: يا محمد إنّ الشراب الذي شربته فيه من طين قبر الحسين (عليه السلام) وهو أفضل ما استشفى به فلا نعدل به، فإنّا نسقيه صبياننا ونساءنا، فنري فيه كل خير، فقلت له: جعلت فداك أنا لناخذ منه ونستشفى به، فقال: يأخذه الرجل فيخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمر بأحد من الجن به عاهة ولا دابة ولا شيء به آفة إلا شمه فتذهب بركته فيصير بركته لغيره، وهذه الذي نتعالج به ليس هكذا ، ولولا ما ذكرت لك ما يمسخ به شيء ولا شرب منه شيء إلا أفاق من ساعته ، وما هو إلا كالحجر

الأسود أتاه أصحاب العاهات والكفر والجاهلية ، وكان لا يتمسح به أحد إلا أفاق ، وكان كأبيض ياقوتة فأسود حتى صار إلى ما رأيت .

فقلت : جعلت فداك وكيف أصنع به ؟

فقال : أنت تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك ، تستخف به فتطرحه في خرجك وفي أشياء دنسة فيذهب ما فيه مما تريده له .

فقلت : صدقت جعلت فداك ، قال : ليس يأخذه أحد إلا وهو جاهل بأخذه ولا يكاد يسلم بالناس .

فقلت : جعلت فداك وكيف لي أن آخذ كما

تأخذه؟

فقال لي : أعطيك منه شيئاً ؟

فقلت : نعم .

قال : إذا أخذته فكيف تصنع به ؟

فقلت : أذهب به معي ، فقال : في أي شيء تجعله ؟

فقلت: في ثيابي ، قال : فقد رجعت إلى ما كنت تصنع اشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله فإنه لا يسلم منك ، فسقاني منه مرتين ، فما أعلم أبي وجدت شيئاً مما كنت أجد حتى انصرفت^١ .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : إن في طين الحائر الذي فيه الحسين (عليه السلام) شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف^٢ .

وليشكر أهل العراق نعمة إستيطان هذه البقعة المباركة (العراق) الذي طالما مدحه سادات أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد جعل الله عزَّ وجل أفئدة أهلته تحنُّ إليهم وتتعلق بهم ؛ روى الشيخ الطوسي عليه الرحمة في كتاب (المجالس) بإسناده عن رزيق الحلقي قال:

١- راجع : كامل الزيارات : ص ٤٦٢-٤٦٥ : ح ٧ .

٢- راجع : كامل الزيارات : ص ٤٦٧ : ح ٥ .

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) يوماً إذ دخل عليه
رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا ، فقال أبو عبد الله
(عليه السلام): تعرفهما ؟

قلت: نعم ، هما من مواليك .

فقال: نعم، والحمد لله الذي جعل أجلة موالِيَّ
بالعراق^١ .

١- الأمالي (المجالس) : الطوسي : ص٦٩٧-٦٩٨ . رقم الحديث العام :

١٤٩٠ : المجلس ٣٩ : ح ٣٣ .

فأين موقع المهاجرين من هذه الأرض
المباركة ؟

عندما تتزاحم المهمات عند أي عاقل فأنه
سوف يرجح بينها بملاحظة الأهم من المهم ؛ ولا
يعذر في تفریطه بالأهم مقابل المهم ، ويحكم عليه
باللاعقلانية فيما لو رجّح غير المهم على الأهم.

فلو افترضنا إن هناك ظروف سياسية، أو
إنسانية دعت للهجرة من الوطن ، فهل يصحح
العقلاء أو يجوزوا أن تغزو الهجرة نفوس المهاجرين
فيستبدلوا بالغرب عن العراق بدلاً ؟

هل يمكن المقارنة بين الأرض المقدسة المباركة التي جعلها الله تعالى مقر قبور أوليائه (عليهم السلام) ومهبط أرواح المؤمنين ، وقدّس الله تعالى ترابها فجعل السجود عليها يخرق الحجب السبع وقد روى الشيخ الطوسي في مصباح المتهدد بإسناده إلى معاوية بن عمار قال:

كان لأبي عبد الله (عليه السلام) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله (عليه السلام)، فكان إذا حضرته الصلاة صبّه على سجّادته وسجد عليه، ثم قال (عليه السلام): أن السجود على تربة أبي عبد الله (عليه السلام) يخرق الحجب السبع.

وهي التي سكنها الآباء والأجداد واختاروها وطناً وأحسنوا بهذا الإختيار ... وبين الأرض التي

كانت مدى التاريخ تعدّ إما دار حرب ، أو دار
ذمة؟!!!

وإذا كان لهم عذر بالهجرة عن الوطن فلا
يعذرهم عاقل بالهجرة عن الذات .
وإذا كان لأولئك الذين فرّوا بدينهم من أرض
المقدّسات عذراً بالهجرة عن الوطن ، فما عذر أولئك
الذين يفكرون بالهجرة عن الوطن وهم يمكنهم أن
يتكيفون ولو بنوع من المشقة والألم داخل الوطن ؟
إن الظاهرة الإجتماعية الجديدة التي يشهدها
مجتمعنا العراقي داخل الوطن ظاهرة مَرَضِيَّة يجب على
جميع القادرين على معالجتها أن ييذلوا قصارى
جهدهم من أجل الإصلاح .
ومن البديهي فإنّ دراسة الأسباب المَرَضِيَّة لهذا
المَرَض تضع اليد على سلوك النظام العدواني تجاه

شعبه وبالأخص أسلوبه الجنوني بافتعال الحروب المدمرة التي يشرك بها أبناء الوطن بلا رحمة . هل سمعتم شعباً يعيش الحرب بأكثر من عشرين عاماً (من سنة ١٩٨٠ ومازال ونحن الآن في سنة ٢٠٠١)، فمتى يستريح هذا الشعب من الحروب، ومتى يحصل على حقوقه الإنسانية من نظامه السياسي؟

ومع كل هذه الظلمات والآلام فإن أرضنا المباركة تستحق التضحية من أجلها والتشبث بها ، والدفاع عن حقنا الإنساني بالبقاء والعيش أحراراً على أرضنا ووطننا الذي ورثناه من آبائنا وأجدادنا ، وعلينا أن نشخص الصبح من الأعمال ، فبدلاً من الهجرة الجماعية من الوطن (وأنا على يقين أن للنظام يد كبيرة في نشوء هذه الظاهرة المرئية وانتشارها داخل الوطن وخارجه) لنقوم بالهجرة من الظروف

المرضية إلى الهجرة للذات والوطن بمقاومة المهجر
وهم الأجانب والغرباء عن الوطن.

المؤلف في سطور:

- ♦ ولد في بغداد ١٥ شعبان ١٣٧٦ هـ
- ♦ تتلمذ على جملة من العلماء منهم آية الله العظمى السيد الخوئي (قده) و آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قده).
- ♦ صدر له أكثر من خمسين بحثاً و تحقيقاً منها:
 ١. الإنسان نقطة البداية.
 ٢. صلاة الليل في مصداقها الرسالي.
 ٣. من مفاهيم الجهاد.
 ٤. النجم الثاقب.
 ٥. السير إلى الله.
 ٦. تحفة الملوك.
- ♦ من نشاطاته: إمام جمعة منطقة السيديّة - بغداد.

